الباب الثانى

صنعة الإنسان حول كتاب الله

- القرآن ـ والتفسير الموضوعى
- القــرآن ـ والتحــديات بين الأمس واليوم ..

obeikandi.com

obeikandl.com

الفصل الأول:

القرآن .. والتفسير الموضوعى

إذا كان المتقدمون من علماء المسلمين خدموا القرآن الكريم بتجليه معانى كلماته وآياته .. وبيان موقعها فى فصاحة العرب : فى الأسلوب والتراكيب ، والإعجاز .. واستخلاص الأحكام الفقهية منها.. والاستدلال بها على بعض الآراء والاتجاهات فى العقيدة والمذاهب الكلامية للطوائف المختلفة .. فإن ذلك لم يكن الطريق الأفضل الذى يشير إلى القيمة الذاتية الحقيقية للقرآن ، كدليل صادق على رسالة الرسول عليه السلام . وإنما كان أشبه بتوضيح مفكك للهداية الإلهية . وربما كان التفسير الموضوعى ، أو استخلاص جوانب هذه الهداية ، بحيث تحدد أهداف الرسالة ، هو السبيل الأيسر للإيمان بمستواها الرفيع الذى يعجز عنه البشر . ومحاولة التفسير الموضوعى لم تحظ لديهم ، بمثل ما حظى عندهم : وقوفهم عند حد الآيات .. والعناية بتراكيبها .. وارتباط اللاحق منها بالسابق .

والتفسير الموضوعى ليس تفسير جملة من الآيات .. ولا استخلاص مضمونها فى وحدة قرآنية واحدة . وإنما هو استخلاص مضمون الكتاب ككل ، من نظرة موضوعية شاملة مرة .. أو استخلاص موضوع محدد : كمنهج القرآن فى تطوير المجتمع ، أو موقف القرآن من المادية ، مرة أخرى .. أو استخلاص هدف السورة الواحدة وما عنيت بإبرازه فى إطار الدعوة كلها ، مرة ثالثة .

* * *

● **هدف القـرآن ، ككل :**

فهدف القرآن جملة ، هو :

أولا : مقاومة الشرك المادي .. أو الوثنية المادية . ويظهر هذا الاتجاه بوضوح فى السور والآيات المكية . ومقاومة الوثنية المادية فيما تظهر فيه من ظواهر .. أو فيما توجهه من اتهامات إلى القرآن ، وإلى الرسول عليه السلام .. أو فيما تصف به الله ، أو تتصوره من صفات له : كوجود شركاء له .. أو وجود أولاد منه .. أو فيما تنكره من دعوة القرآن ، كالبعث والجزاء الأخروى .

والهدف الثانى : هو تصـحيح ما وقع من تحريف أهـل الكتاب فى رسالة الله السابقة ، وبالأخص من بنى إسرائيل فى التوراة .. والإنجيل معا . وقد بلغ هذا التحريف قمته فى الشرك بالله وتأليه الإنسان . ويتكفل جـزء كبير مما ورد فى السـور المدنيـة ــ وبالأخص فى سـورتى آل عمـران والمائدة ــ ببيـان تحريف اليهـود والنصـارى . وقد أشـار القـرآن إجمالا إلى هذا الجانب : فى قول الله تعالى : **« ان هـذا القرآن يقص على بنى اسرائيل** (يهـوداً .. ونصارى) **أكثر الذى هم فيـه يختلفـون . وانه لهدى ورحمة للمؤمنين . ان ربك يقضى بينهم بحكمه ، وهو العزيز العليم . فتوكل على الله ، انك على الحق المبين »** (١) ..

أما الهـدف الثالث فهـو : بنـاء المجتمع الإسلامى ــ طبقا لتطوره ، بعد قيامه بيثرب ــ على أساس : التكافؤ فى الاعتبار البشرى .. والتكافل فيما بين أفراد المؤمنين جميعا ، فيما يحقق بينهم العدل الاجتماعى ، بالبعد عن الإسراف فى الاستمتاع بالمتع المادية المتاحة فى محيط الناس .. وبالإنفـاق الحر منها فى سبيل الخير العام للأمة . وهذا الجانب الثالث تقوم به السور المدنية فى القرآن الكريم .

والحـديث الذى يروى ، من أنه : « لا تشـد الرحـال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام .. والمسجد الأقصا .. ومسجد الرسـول عليـه السلام بالمدينة » .. هو حديث يربط هذه الجوانب الثلاثة لمضمون القرآن .

(١) النمل : ٧٦ ــ ٧٩

ككل ، بالمساجد الثلاثة . على معنى : أنه فى شد الرحال إلى أى مسجد منها : يتذكر المؤمن جانب الرسالة الذى ارتبط به .. ويتذكر بالتالى ما يجب عليه من المشاركة فى تحقيقه :

● **مقاومة المادية :**

فزيارة المسجد الحرام تشد الزائر له . إلى تذكر فساد الشرك وأخطار الوثنية المادية على البشرية على نحو ما سيطرت على جو العهد المكى فى تاريخ المجتمع العربى هناك . ومن ثم تدعوه إلى الوقوف فى وجهها .. وإلى مطاردتها فى أى وقت أو فى أى عهد تظهر فيه مرة أخرى فى المجتمع الإنسانى . وفى تحديد القرآن لمظاهرها لا تخفى معالمها إطلاقاً ، مهما حاولت أن تتستر وراء شعارات خادعة : كشعارات الإنسانية .. أو نصرة الكادحين .. أو تحقيق العدل الاجتماعى . فأهم مظاهرها :

أولا : الإعراض من الماديين عن دين الله : « **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين** » (٢) ..

ثانياً : اشمئزازهم من ذكر الله إذا ذكر وحده : « **واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون** » (٣) ..

ثالثاً : إيثارهم الحياة الدنيوية وحدها .. وإلحاحهم فى طلبها : « **فأعرض عن من تولى عن ذكرنا** (كتاب الله) **ولم يرد الا الحياة الدنيا** » (٤) ..

رابعاً : إنكارهم البعث وجزاء الآخرة : « **وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر** » (٥) ..

خامساً : تمكن الشح من نفوسهم : « **واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله** (أى على الضعفاء .. وأصحاب الحاجة فى المجتمع) **قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه** » (٦) .. (يقولون ذلك : سخرية واستهزاء) .

---

(٢) يس : ٤٦
(٣) الزمر : ٤٥
(٤) النجم : ٢٩
(٥) الجاثية : ٢٤
(٦) يس : ٤٧

سادساً : إنفاقهم الأموال ــ إن أنفقوها ــ فى الصد عن سبيل الله ، وهى : سبيل الخير .. والاطمئنان .. وحسن العلاقات بين الناس : **« إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله »** (٧) ..

سابعاً : طغيانهم بالمال وبالقوة على غيرهم من المسالمين أو الضعفاء : **« وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون . وقالوا نحن أكثر أموالا وأولاداً وما نحن بمعذبين »** (٨) .. **« ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم . مناع للخير معتد أثيم . عتل بعد ذلك زنيم . أن كان ذا مال وبنين »** (٩) ..

ثامناً : إسرافهم فى تجاوز العدل .. وإمكانيات الحياة المادية استجابة للأنانية .. وإمعانا فى حرمان الآخرين وإذلالا لهم **« فاتقوا الله واطيعون . ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون »** (١٠) ..

تاسعاً : تنكبهم عن الصراط السوى بالإلحاد .. وباللاأخلاقية .. وبسفك الدماء : **« وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون »** (١١) ..

عاشراً : إيمانهم بالشواهد والدلائل المادية وحدها ، وإنكارهم ما وراءها من المعانى والقيم الإنسانية : **« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً . او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه »** (١٢) ..

حادى عشر : استهدافهم من معارضة الدين : التفرد بالسلطة وبالسيادة على المجتمع .. وعلى العالم فى غير نقد : **« ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب »** (١٣) ..

وأما ادعاءات هؤلاء الماديين بالنسبة للقرآن ــ وكذلك بالنسبة لكل رسالة إلهية ــ فيدعون :

---

(٧) الانفال : ٣٦
(٨) سبأ : ٣٤ ، ٣٥
(٩) القلم : ١٠ ــ ١٤
(١٠) الشعراء : ١٥٠ ــ ١٥٢
(١١) المؤمنون : ٧٤
(١٢) الاسراء : ٩٠ ــ ٩٣
(١٣) النحل : ١١٦

(أ) أن القرآن من عمل الرسول .. وليس وحيا إلهيا : « **وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه** (أى تقتوله وألفه ثم نسبه إلى الله كذبا وافتراء) **واعانه عليه قوم آخرون** » (١٤) ..

(ب) وأنه تلقنه وتعلمه من غيره ، فهو مؤلفه .. وصاحبه : « **ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر** » (١٥) ..

(جـ) وأنه مصدر خداع للناس .. وليس مصدر هداية واقعية : « **ولما جاءهم الحق** (القرآن) **قالوا هذا سحر وانا به كافرون** » (١٦) ..

(د) وأنه أساطير .. وخرافات ، لا تقف أمام العقل والتجارب العلمية : « **وقالوا أساطير الأولين أكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا** » (١٧) ..

.. كما يصفون الرسول عليه السلام :

١ ــ بأنه ساحر : يخدع غيره بدعوته « **قال الكافرون ان هذا لساحر مبين** » (١٨) ..

٢ ــ وبأنه مجنون ، إذ يتطاول بنقد الوضع القائم للمجتمع ويعلو على زعمائه وكبرائه : « **وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر** (أى القرآن) **انك لمجنون** » (١٩)

٣ ــ وبأنه من آحاد الناس وليس من العظماء والزعماء : « **وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** » (٢٠) ..

* * *

● **تصحيح أخطاء أهل الكتاب :**

أما زيارة المسجد الأقصا ، فإنها تذكر الزائر المؤمن بدعوة الرسول عليه السلام بالجانب الثانى فى رسالة القرآن . هو : جانب تصحيح انحرافات أهل الكتاب من بنى إسرائيل (يهود .. ومسيحيين) : لكتاب الله : التوراة .. والإنجيل من بعده .

---

(١٤) الفرقان : ٤
(١٥) النحل : ١٠٣
(١٦) الزخرف : ٣٠
(١٧) الفرقان : ٥
(١٨) يونس : ٢
(١٩) الحجر : ٦
(٢٠) الزخرف : ٣١

وقد تمت زيارة الرسول عليه السلام للمسجد الأقصى بالإسراء إليه ، كما يذكر قوله تعالى : « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصا الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير** » (٢١) .. ويروى فى الأحاديث الصحيحة : أنه عليه السلام صلى فى المسجد الأقصى وأمّ رسل بنى إسرائيل وأنبياءهم . وفى مقدمتهم : موسى .. وعيسى ، إيذانا بأن إمامته فى الصلاة لهم : هى تكليفه من قبل الله فى قرآنه : بتصحيح الانحرافات التى طرأت على رسالة الدين الإلهى من جانب بنى إسرائيل .

وفى سورة الإسراء يتحدث المولى جل شأنه عن : أن هداية القرآن هى هداية أقوم السبل فى مواجهة ما تبقى من كتاب الله ، أرسل به رسل سابقون : فيقول : « **ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم** » (٢٢) .. (أى أقوم سبيل للهداية .. ومعنى ذلك : أن كتاب موسى .. أو عيسى يمثل فقط بقية من هداية الله ، لما قد تعرض له الكتاب من تصحيف) ..

والقرآن يعيد رسالة الله الحقة فى جوهرها ، التى أرسل بها موسى ، ثم عيسى من بعده عليهما السلام : « **وأنزلنا اليك الكتاب بالحق** (وهو القرآن) **مصدقا لما بين يديه من الكتاب** (أى التوراة والإنجيل) **ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ،** (أى إليك .. وهو القرآن) **ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق** » (٢٣) ..

.. كما يضع الرسل جميعا سواء فى وجوب الإيمان بهم من المؤمنين برسوله وهو محمد عليه السلام « **قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** » (٢٤) ..

.. ومكة هى من أجل ذلك أصبحت قبلة المؤمنين بالله : من أهل الكتاب .. أو من المؤمنين بالرسول محمد عليه السلام : « **قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد**

---

(٢١) الاسراء : ١
(٢٢) الاسراء : ٩
(٢٣) المائدة : ٤٨
(٢٤) آل عمران : ٨٤ ، ٨٥

الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ، وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عما يعملون)) (٢٥) ..
فمكة أول بيت لله . وضعه إبراهيم وإسماعيل ، وإبراهيم يعود إليه فى النسب : محمد عليه السلام .. كما يعود إليه رسل بنى إسرائيل ، وأنبياؤهم : **((ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم)) (٢٦) ..**

● **أخطاء أهل الكتاب :**

هى أخطاء فى الاعتقاد . إما بجعل الإنسان ابناً الله ، وبذلك يكون شريكا له فى الألوهية على نحو ما قالت اليهود فى عزير .. والنصارى فى المسيح : **((وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بافواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ،** (وهم المشركون الماديون عندما قالوا : الملائكة بنات الله) **قاتلهم الله ، انى يؤفكون)) (٢٧) ..**
وإما بجعل الإنسان إلهاً هو الله ، كما صنع المسيحيون فيما يحكى عنهم فى قول الله تعالى : **((لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم)) (٢٨) ..**
وإما بالتثليث ، كما قال المسيحيون أيضا ، فى الله .. وعيسى ومريم ، وحكى عنهم القرآن ذلك فى مثل قوله : **((لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد)) (٢٩) ..**

وقد دعاهم القرآن : مصححا لهم هذا الخطأ فى الاعتقاد ، فى قول الله تعالى : **((قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً** (إنسانا ما : أو رسولا ما) **ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون)) (٣٠) ..**

.. وأخطاء أخرى تتعلق بالاحتراف بالدين . وصور هذا الاحتراف عديدة ، منها ، إخفاء بعض ما جاء فى كتاب الله : التوراة ، أو الإنجيل ، وإظهار البعض الآخر منه ، وإلى ذلك يشير قوله تعالى : **((تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً)) (٣١) ..** والهدف من ذلك جعله مصدراً للكسب ،

---

(٢٥) البقرة : ١٤٤
(٢٦) آل عمران : ٩٦ ، ٩٧
(٢٧) التوبة : ٣٠
(٢٨) المائدة : ١٧
(٢٩) المائدة : ٧٣
(٣٠) آل عمران : ٦٤
(٣١) الانعام : ٩١

كما يعبر قول القرآن الكريم : « **واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب** (من يهود ومسيحيين) **لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم** (أى نبذوا العهد والميثاق) **واشتروا به ثمناً قليلا ، فبئس ما يشترون** » (٣٢) ..

وقد طلب إليهم القرآن أن يتبعوا ما جاء فى القرآن ، حتى يقفوا على ما خفى عليهم فى كتاب موسى ، وعيسى ، إذ يقول لهم : « **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا** (يريد محمداً عليه السلام) **يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب** » (٣٣) كما هدد زعماءهم ممن يباشرون هذا التحريف ، وأنذرهم بقول الله تعالى : « **ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم** » (٣٤) ..

..ومنها الاحتراف بالدين فى صورة تأويله تأويلا محرفا لقصد دنيوى ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : « **فبما نقضهم ميثاقهم** (وهم بنو إسرائيل) **لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه** » (٣٥) .. (أى إن بنى إسرائيل لحقتهم لعنة الله وغضبه ، بسبب أنهم نقضوا ميثاق الله فى وجوب كونهم أمناء على دينه : فحرفوا الكلم عن مواضعه ابتغاء الحياة الدنيا ، وبذلك قست قلوبهم ، فلم يعودوا مباشرين لعمل سوى الفساد والطغيان) .

.. وأخطاء من نوع ثالث تتعلق بالانحراف فى السلوك ، بسبب الوقوع تحت تأثير الإتجاه المادى . وترجع هذه الأخطاء فى جملتها إلى : العصيان .. وعدم طاعة الله فيما يأمر به أو ينهى عنه : كمباشرتهم العمل يوم السبت مع أنهم نُهوا عنه .. وكدخولهم إلى القرية التى كلفوا بالدخول إليها فى طاعة واستسلام لله سبحانه ، فى كبرياء وغطرسة : « **وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت** » (٣٦) ..

.. وإلى اعتدائهم بالقتل على نفوس الأبرياء كقتلهم الأنبياء :

---

(٣٢) آل عمران : ١٨٧
(٣٣) المائدة : ١٥
(٣٤) البقرة : ١٧٤
(٣٥) المائدة : ١٣
(٣٦) النساء : ١٥٤

« **وقتلهم الأنبياء بغير حق** » (*) .. وإلى سفك الدماء ، وإخراج بعضهم بعضاً من ديارهم :

« **واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون . ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم ، افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض** » (٣٧) .

.. وإلى أخذهم الربا .. وأكلهم أموال الناس بالباطل : « **فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً . واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل ، واعتدنا للكافرين منهم عذاباً اليما** » (٣٨) ..

.. وإلى ادعائهم الباطل . كقولهم على مريم بهتانا عظيما : « **وقولهم على مريم بهتانا عظيما** » (٣٩) وكقولهم : إنا قتلنا المسيح ابن مريم : « **وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** » (٤٠) .. وقولهم : لن تمسنا النار إلا أياما معدودة : « **وقالوا لن تمسنا النار الا اياماً معدودة ، قل اتخذتم عند الله عهداً فان يخلف الله عهده ، أم تقولون على الله ما لا تعلمون** » (٤١) .. وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه : « **وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله واحباؤه** » (٤٢) وقولهم : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى : « **وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى ، تلك أمانيهم** » (٤٣) .. وقولهم لما هو حلال من الطعام : هذا حرام ، كذباً وزورا : « **كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة** » (٤٤) ..

.. وقولهم على الله : يد الله مغلولة : « **وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا** » (٤٥) ..

.. وقولهم على الله : إن الله فقير ونحن أغنياء : « **لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا** » (٤٦) ..

(*) النساء : ١٥٥
(٣٨) النساء : ١٦٠ ، ١٦١
(٤٠) النساء : ١٥٧
(٤٢) المائدة : ١٨
(٤٤) آل عمران : ٩٣
(٤٦) آل عمران : ١٨١

(٣٧) البقرة : ٨٤ ، ٨٥
(٣٩) النساء : ١٥٦
(٤١) البقرة : ٨٠
(٤٣) البقرة : ١١١
(٤٥) المائدة : ٦٤

وقد أجمل هذه الأخطاء فى سلوكهم ، قول الله تعالى : « **وترى كثيراً منهم يسارعون فى الاثم والعدوان وأكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يعملون . لولا ينهاهم الربانيون والأحبار** (وهم علماء اليهود وكتابهم) **عن قولهم الاثم وأكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يصنعون** » (٤٧) .. وسجل عليهم لعنة الله فى قوله : « **لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون** » (٤٨) ..

وسورتا : آل عمران .. والمائدة ، فى مقدمة السور المدنية التى تبرز خصائص أهل الكتاب وموقف القرآن منهم ، وموقفهم هم من رسالة الله .

* * *

● **بناء المجتمع الانسانى :**

وأخيرا : فإن زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بيثرب تذكر الزائر له والمصلى به بالهدف الثالث من أهداف القرآن . وهو هدف بناء المجتمع الإسلامى بالمدينة ، كى يراجع الزائر نفسه وما يلتزم به إزاء قوة هذا المجتمع وتماسكه : إن فى الارتباط بأفراده .. وإن فى الدفاع عن بقائه .

وقد أقيم المجتمع الإسلامى على أصول عامة فى سياسته الداخلية .. وأخرى فى سياسته الخارجية :

● **فى أصول سياسة الحكم :**

بقاء المجتمع : وتماسكه : وهذان الأمران ــ بقاء المجتمع وتماسكه ــ مرهونان باستمرار الإيمان بالله وحده ، وبعدم الشرك به فى أية صورة من صوره .. ثم باستمرار العمل الصالح . وهو العمل طبقا لما جاءت به رسالة الإسلام ، يقول الله تعالى : « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امناً** » (وهو الخوف من الزعماء

(٤٧) المائدة ٦٢ ، ٦٣ (٤٨) المائدة : ٧٨ ، ٧٩

والمستكبرين فى المجتمع .. والخوف من أعداء الله فى داخله وخارجه .. هو الخوف من قلة العـدد للمؤمنين وضعف الشـوكة لهم) **يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** » (٤٩) ..

.. فإذا ضعف الإيمان عند قادة المجتمع وزعمائه ، وخرجوا عن جادة العمل الصالح ، واستمرأوا الاعتداء ومباشرة الجرائم فى حكمهم .. والعبث والفساد فى سلوكهم : فإن تغيير قيادة مجتمعهم آنئذ صورة من صـور الإرادة الإلهية النافـذة : « **واذا أردنا أن نهـلك قـرية** (أى مجتمعا) **أمرنا مترفيها ففسـقوا فيها فحق عليها القول فـدمرناها تدميراً** » (٥٠) .. « **وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها** » (أى ليشيعوا فى المجتمع : العـدوان .. والفسـاد .. ومباشرة الجـرائم الاجتماعيـة) **وما يمكرون الا بأنفسهم** (أى وما يعود أثر عدوانهم ، وفسادهم ، وارتكابهم الجرائم إلا على أنفسهم بتغيير قيادتهم وتحويل مجتمعهم الفاسد إلى مجتمع عادل محسـن) **وما يشعرون** » (٥١) .. (أى بوقوع هذا التغيير إلا فور وقوعه) .

● **وفى توازن الاقتصاد .. وتحقيق العدل بين أفراد المجتمع :**

وفى هذا الجانب يحرص القرآن على عدة أمور ، منها :

اولا : المحافظة على الملكية الخاصة للمال : « أهم يقسمون **رحمة ربك** » (والخطاب تأنيب للماديين الوثنيين بمكة عندما اعترضوا على اختيار الرسول محمد عليه السلام للرسالة من ربه : « **وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** » (٥٢) ..) **نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا** ، (أى فنحن قادرون على أن نختار من نشاء للرسالة .. بعد أن قسمنا بينهم فى المعـايش والأرزاق) **ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات** (فى المعيشـة والأمـوال) **ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا** » (٥٣) .. (أى ليستخدم بعضهم بعضا . فصاحب المال يعطى الأجر على عمـل ممن لا يملك المال ، ويستطيع العمل فى الوقت نفسه ، وصاحب الاستطاعة على

---

(٤٩) النور : ٥٥
(٥٠) الاسراء : ١٦
(٥١) الانعام : ١٢٣
(٥٢) الزخرف : ٣١
(٥٣) الزخرف : ٣٢

العمل يقدم عمله لصاحب المال ، ويأخذ أجره منه . وبذلك تتبادل المصالح والمنافع بين الأفراد فى المجتمع .. وهذا التبادل سر من أسرار ارتباطه) .. فإذا ألغيت الملكية الخاصة اعوج وضع المجتمع ووقف تبادل المصالح بين الأفراد .

وفى النظام الماركسى فى الوقت الذى يلغى فيه الملكية الخاصة للأفراد .. يحول ملكية المال لطبقة معينة ، ومجموعة أخرى هى مجموعة الحزب .. فالحزب يسخر من لا يملكون المال ، ويستطيعون العمل : من أجل العمل . نظير أجر يتقاضونه من حكومته . وما يسمى فى هذا النظام بالملكية العامة : هو شعار الدولة الحقيقى : ملكية الحزب وعصابة الحكم .

وكذلك إذ يجعل الله ملكية المال ، بجانب وظيفته الاجتماعية ، وسيلة لابتلاء من يملكه فى طاعة الله ــ والابتلاء مقدمة ضرورية لجزاء الآخرة ــ فإن الابتلاء يسقط ، إذا لم تكن هناك ملكية خاصة قائمة « **ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون** » (٥٤) ..

فتبادل المصالح بين أفراد المجتمع من جانب .. وتحقيق ابتلاء الله بالمال للإنسان من جانب آخر : يجتمعان فى نظر الإسلام فى بقاء الملكية الخاصة وعدم إلغائها وتحويلها إلى ملكية عامة .

ثانياً : المنفعة العامة للمال الخاص . فكون الملكية ملكية خاصة لا يعنى فى نظر الإسلام : المنفعة الخاصة للمال : بل مع كونها خاصة : منفعتها عامة . ويدل على ذلك قوله تعالى : « **والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق** » (أى فهناك تميز فى الملكية والأرزاق .. هناك المتفوق فى ثرائه والأقل منه ثراء .. وهناك المحروم ، وصاحب الحاجة) **فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم** (ومن بين الذين لا يملكوا ــ ولا يحق لهم أن يملكوا طالما بقيت لهم صفتهم وهى الرق ــ الأرقاء الذين يدخلون فى ملك اليمين . ومع كونهم لا يملكون فما يعطونه من أرزاق ممن ملكت يمينهم ، ليس فى واقع أمره : مقتطعا من أموالهم . بل هو حقهم فى مال المالك . وهم والمالك

---

(٥٤) البقرة : ١٥٥ ، ١٥٦

سواء فى الانتفاع بما يملك المالك من مال) **فهم فيه سواء ، أفبنعمة الله يجحدون** » (٥٥) .. كما يدل قوله : « **ضرب لكم مثلا من أنفسكم ، هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فى ما رزقناكم** (أى ليس هناك ممن هم ملك اليمين من الأرقاء : شريك فى رزق السيد وفى ماله) **فأنتم فيه سواء** (ومع ذلك فالأرقاء والأسياد سواء فى منفعة المال الذى هو بيد أسيادهم) **تخافونهم كخيفتكم أنفسكم** » (٥٦) .. (أى تحرصون أيها الأسياد على أرقائكم فى معايشهم كما تحرصون على معايش ذواتكم) .

ولكون منفعة المال الخاص : منفعة عامة يحمل الإسلام من يملكونه : على إنفاق الزائد عن حاجة المالك فى سبيل الخير العام والمصلحة العامة ، تحقيقا لوظيفة المال الاجتماعية . فيقول الله جل جلاله « **آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** » (والأموال التى يملكها المؤمنون ملكية خاصة هى التى استخلفهم فيها الله لصالح أنفسهم ولصالح العباد معهم . ولم يحدد الإسلام مقدار ما ينفقه المالك . بل تركه لتقديره هو ولإيمانه بالله وبأمته) **فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير** » (٥٧) ..

كما يقول : « **وهو الذى جعلكم خلائف الأرض** (أى جعلناكم أصحاب أمر : أجيالا بعد أجيال) **ورفع بعضكم فوق بعض درجات** (فى الأموال والأرزاق) **ليبلوكم فى ما آتاكم ، إن ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم** » (٥٨) ..

ولكى تصان المنفعة العامة للمال عن العبث .. ولكى تصل كذلك إلى أصحاب الحاجة فى الأمة : نهى القرآن عن الانحراف فى استخدام المال . فقال : « **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** (إذ الحصول على المال من غير طريق مشروع يمنع من أخذ منه عن أن ينفق بعضا منه على الأقل فى سبيل المصلحة العامة ، لأنه يفتقده الآن .. كما يمنع الآخذ له من إنفاقه كذلك فى هذه السبيل . لأن تحصيله له من غير وجه مشروع يدل على أنانيته وعدم اعترافه بغيره معه) **وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون** » (٥٩) .

---

(٥٥) النحل : ٧١
(٥٦) الروم : ٢٨
(٥٧) الحديد : ٧
(٥٨) الانعام : ١٦٥
(٥٩) البقرة : ١٨٨

وهناك إذن سبيلان للانحراف فى استخدام المال . الأول : تحصينه فى المعاملات التجارية والمالية والزراعية عن طريق غير مشروع . والثانى : التواطؤ مع من لهم سلطة الحكم عن طريق الرشوة فى الحيلولة دون وصول الحق إلى أصحابه .

ويجب أن لا ينظر المالك للمال على أن ملكه تعبير عن رضاء الله عنه . وإنما هو للاختبار به فقط . ولذا يجب أن لا يتحايل فى الحصول عليه .. كما يجب أن لا يمسكه فلا يوصل منفعته للآخرين : ((**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**)) (٦٠) ..

ومن أجل أن ملك المال ليس تعبيرا عن رضاء الله عن مالكه ، ربما يفوق الكافر بالله .. المؤمن به ، فيما يملك من المال : ((**كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظورا** . (أى على كافر) **انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض** ، (أى فى المال والرزق فى الدنيا) **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا**)) (٦١) ..

● وفى الحرب .. والسلام ، من أجل بقاء المجتمع :

ويرى الإسلام أن القتال ضرورة تفرض نفسها على المجتمع المؤمن بالله لدفع الاعتداء عليه .. ولتوفير الأمان والطمأنينة فى الحياة مع أعدائه فى الوقت نفسه . فأعداء المجتمع المؤمن بالله ــ وهم الملحدون الماديون ، وكذلك المحرفون لدين الله من أهل الكتاب ــ يضمرون العداء له ، ويتربصون به فى الأزمات والشدائد : ((**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا**)) (٦٢) ..

وقد جاءت ضرورة الإعداد للقتال فى قول الله تعالى : ((**كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون**)) (٦٣) ..

ولكن ليس معنى : أن القتال قد فرض على المؤمنين .. أنهم يباشرونه

---

(٦٠) التوبة : ٣٤
(٦١) الاسراء : ٢٠ ، ٢١
(٦٢) البقرة : ٢١٧
(٦٣) البقرة : ٢١٦

مع مخالفيهم فى الإيمان ، وإن لم يعتد هؤلاء عليهم . بل مباشرته مقرونة بتلبس أعدائهم بالعدوان عليهم :« **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، أن الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم** ، (أى أن تجعلوهم أولياء وأصدقاء لكم) **ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** » (٦٤) ..

وضرورة القتال فى فرضه على المؤمنين أمر أبدى ومستمر فى حياتهم ليوم البعث . لأن الكفر .. والإيمان بالله ــ كضرورتين من ضرورات المجتمع ــ باقيان أيضا إلى يوم قيام الساعة : « **ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين . الا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم** ، (أى بسبب الابتلاء فى طاعة الله خلق الله الناس . ونتيجة هذا الابتلاء : إما الكفر .. أو الإيمان به ، وقد جاء أول ابتلاء للإنسان : فى أمر آدم وحواء ، بأمرهما بالامتناع عن الأكل من شجرة معينة فى قول الله تعالى : « **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** » (٦٥) ..) **وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة** (أى من أشرار الناس غير المعروفين بشرهم لمن عداهم) **والناس** (أى المعروفين لغيرهم بأنهم مصدر شر) **أجمعين** » (٦٦) ..

وإذا كان مبدأ إنفاق المال فى سبيل المصلحة العامة ــ أو فى سبيل الله ــ ضرورة لتماسك الأفراد بعضهم ببعض .. فمبدأ الإعداد للقتال ، والمباشرة الفورية لرد العدوان ضرورة لبقائه ، ككل : على معنى إذا ضعفت المشاركة من الأفراد وتقاعدوا عن مباشرة واجبهم فى وقاية أمتهم من أعدائها .. فالنتيجة اللازمة : هى تغيير مجتمعهم وزواله . وهذا هو معنى : استبدال الله قوما آخرين غير القائمين فى المجتمع ، حال تخاذلهم وتقاعدهم عن القتال ، ذلك الاستبدال الذى جاء فى قول الله تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض** » (أى تباطأتم عن الاستجابة) **أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة** ،

---

(٦٤) الممتحنة : ٨ ، ٩

(٦٥) الأعراف : ١٩

(٦٦) هود : ١١٨ ، ١١٩

(أى أرضيتم بالاستمتاع بماديات الحياة الدنيا ، ومنها الحرص على حياتكم بعدم الخروج للقتال .. بدلا من الحرص على سلامة القيم العليا التى يلتف حولها المجتمع المؤمن بالله ، والتى تؤدى المشاركة فى صيانتها إلى نعيم الآخرة وجزاء الله فيها ؟) **فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذاباً اليما** (أى فى دنياكم بالمذلة لكم من أعدائكم) **ويستبدل قوماً غيركم** (هم أحرص منكم على سلامة الإيمان بالله) **ولا تضروه شيئا** (بقبولكم المذلة .. ثم بذهاب مجتمعكم) **والله على كل شىء قدير** » (٦٧) ..

● **وفى العلاقة بالمجتمعات الأخرى :**

وتقوم علاقة المجتمع الإسلامى مع المجتمعات الأخرى ـ وهى مجتمعات الإلحاد والوثنية المادية . ومجتمعات أهل الكتاب ـ على الحذر والحيطة فى تقبل المشورة .. وعلى عدم الموالاة ، وفى الوقت نفسه : على عدم الاعتداء . لأن عداوة المجتمعات الأخرى للمجتمع الإسلامى عداوة باقية ، ولم تزل تتطلع هذه المجتمعات إلى سقوط المجتمع الإسلامى أو إلى ضعفه على الأقل : « **ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه** (أى من القرآن) **حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم . الملك يومئذ لله** » (٦٨) ..

فالحذر والحيطة فى تقبل مشورة أهل الكتاب يدل عليها قوله تعالى : « **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل ان هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير** » (٦٩) .. (أى على من يقبل مشورتهم من المجتمعات الإسلامية أن يتحمل عاقبة أمرها . وهى عاقبة المذلة . والانحدار إلى الفناء . وساعتئذ ليس هناك صديق يساعد ولا نصير يعين على الخروج من الشدائد) ..

والحذر والحيطة فى تقبل مشورة الملحدين يؤخذان من عداوتهم البغيضة

---

(٦٧) التوبة : ٣٨ ، ٣٩ (٦٨) الحج : ٥٥ ، ٥٦
(٦٩) البقرة : ١٢٠

لكتاب الله وقرآنه ، على نحو ما جاء فى قول الله تعالى : « **والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو** (أى القرآن) **عليهم عمى** » (٧٠) . وجاء التعبير صريحا عن قبول مشورتهم فى قول القرآن الكريم : « **فلا تطع الكافرين وجاهدهم به** (أى القرآن) **جهاداً كبيراً** » (٧١) ..

أما عدم اتخاذ المؤمنين : غيرهم أصدقاء وأولياء ، فالنهى عن اتخاذ ذلك تقصه مثل هذه الآية الكريمة : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله ان كنتم مؤمنين** » (٧٢) ..

* * *

وفى إطار الهدف الرئيسى للقرآن ـ موزعا على هذه الجوانب الثلاثة : جانب مقاومة الوثنية المادية .. وجانب تصحيح التحريف الذى باشره أهل الكتاب فى رسالة الله .. وجانب بناء المجتمع الإسلامى : فى أصول حكمه ، وفى أخلاقياته فى السلوك والمعاملة ـ يدور التفسير الموضوعى للقرآن ككل ، بين الإجمال والتفصيل فى تحديد هدفه . يمكن عندئذ أن يعرض كل جانب من هذه الجوانب ، مستوفيا وملما بما جاء به القرآن فى آياته كلها . بحيث يصح أن يكون دستوراً ينطوى على مبادئه فى الجانب المقصود فى يسر ، وفى غير تطويل .

* * *

● **هدف كلّ سورة على حدة :**

وبجانب استخلاص هدف القرآن ـ ككل ـ من سوره المكية والمدنية .. واستخلاص ما لكل جانب من جوانب هذا الهدف ، مستقلا بعد ذلك .

وهنا نعرض لبعض النماذج فى استخلاص المطلوب من بعض السور المكية : وهى سورة « الأنعام » هنا . وذلك المطلوب هو ما تستهدفه السورة أولا وبالذات ، يضاف إليه : ما يستخدمه القرآن فى السورة من

---

(٧٠) فصلت : ٤٤ (٧١) الفرقان : ٥٢

(٧٢) المائدة : ٥٧

تاريخ البشرية فى مجتمعاتها .. أو ما يعد به الله من نعيم ، أو عقاب : للمطيع على طاعته ، وللعاصى على عصيانه وإثمه أو جريمته .

سورة الأنعام :

.. فسورة الأنعام تحرص فى الدرجة الأولى على تحريم تدخل السلطة القائمة : دينية .. أو سياسية ، فى الأموال الخاصة باسم الله ، أو بأى اسم آخر (كاسم الشعب أو الأمة) والاعتداء على حرمتها ، لمنفعة شخصية من وراء ذلك ، تعود على ممثلى تلك السلطة .

والسلطة القائمة إذ ذاك فى مكة : كانت سلطة دينية .. سلطة الكهان . والكهان كانوا يمثلون الطبقة الوسطى ، التى تلى الطبقة العليا فى معرفة غيب السماء ، وهى طبقة شياطين الجن . فكان يدعى : أن هؤلاء الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء الدنيا فى حديث الله مع الملائكة ، ثم ينقلون ما يسمعون إلى الكهان . وجاء أدعاء هؤلاء فى نقلهم علم الغيب عن أولئكم فى قول الله تعالى : « **وأنه كان رجال من الانس** (وهم الكهان) **يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً . وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً** » (٧٣) ..

والكهان بدورهم يمارسون مع العامة ، وهى الطبقة الدنيا : حرفتهم بما يدعى من علم الغيب ، وينسبونه كذبا إلى الله سبحانه من : حل هذا .. وتحريم ذاك ، مما يجرى فى حياتهم . وبالأخص فيما يتصل بثروتهم الحيوانية ، والزراعية . وهى ثروة تمثل الاقتصاد القومى لمجتمعهم فى ذلك الوقت . ونظيرها — ويأخذ حكمها — كل ثروة أخرى يعتمد عليها المجتمع البشرى فى أى وقت وعهد ، كالثروة الصناعية والتجارية فى المجتمعات المتطورة المعاصرة .

وقد واجهت سورة الأنعام هؤلاء الكهان بحقيقة احترافهم بالكهانة .. ومدى ما ينتظرهم من جزاء على سوء صنيعهم ، والكذب فيه ، فى قول الله تعالى : « **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى الى ولم يوح**

---

(٧٣) الجن : ٦ ، ٧

اليه شيء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ، ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون » (٧٤) ..

ثم أخذت السورة توضح صور تدخلهم فى الأموال الخاصة فى المجتمع المكى إذ ذاك . فذكرت :

ـ فرضهم نصيبا معينا فى أموال أتباعهم : يؤخذ منها ليعود إليهم وحدهم ، تحت ستار : إنه لله مرة .. وإنه لأصنامهم مرة أخرى : « **وجعلوا لله مما ذرأ** (أى خلق) **من الحرث** (الثروة الزراعية) **والأنعام** (والثروة الحيوانية) نصيباً **فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا** ، (أى أصنامنا) **فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله** ، (وإنما يصل إليهم هم لأنهم القائمون على خدمتها) وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ، (أى كذلك يصل إليهم أنفسهم) **ساء ما يحكمون** » (٧٥) ..

ـ وحجرهم على نوع معين من الثروة الحيوانية .. ونوع آخر من المحاصيل الزراعية ، بحيث لا يباح تناوله ولا الطعام منه إلا لمن يأذنون له منها بذلك : « **وقالوا هذه أنعام وحرث حجر** (أى موقوف التصرف فيها) **لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم** » (٧٦) .. (ويعنون خدم الأوثان .. والرجال دون النساء) » .

ـ وتحريمهم استخدام نوع معين من الأنعام : فلا يركب .. ولا يحلب دره .. ويطلق فلا يمنع من الماء والمرعى « **وأنعام حرمت ظهورها** » (٧٧) .. وهذا النوع ثلاث فصائل :

الفصيلة الأولى : البحيرة . وهى الناقة التى يشق أذنها ، بعد أن تنتج خمسة أبطن ، آخرها ذكر .

الفصيلة الثانية : السائبة . وهى الناقة التى تطلق ولا تقيد ، ولا تمنع عن المرعى والماء ، إن عاد صاحبها سالما من سفر .. أو خرج من مرض ذا نقاهة . وقد وعد بها ، إن عاد من سفره سالما .. أو شفى من مرضه .

---

(٧٤) الأنعام : ٩٣
(٧٥) الأنعام : ١٣٦
(٧٦) الأنعام : ١٣٨
(٧٧) الأنعام : ١٣٨

الفصيلة الثالثة : الحام . وهو الفحل الذى أنتجت منه الأنثى من الحيوان : عشرة أبطن . فيقال له : الآن قد حمى ظهره ، فلا يركب ، ولا يحمل عليه ، ولا يمنع من ماء ، ولا مرعى .

وجاء توضيح افتراء الكهان فى هذا المنع والتحريم لهذه الفصائل الثلاثة من النعم ، فى قول الله تعالى : **« ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ، وأكثرهم لا يعقلون »** (٧٨) ..

.. وعدم ذكرهم اسم الله على ما يذبح من الأنعام ، وذكر اسم أحد الأصنام بدلا من المولى جل جلاله ، حتى يكون أكل ما يذبح وقفا على خدمة الصنم الذى ذكر اسمه عليه : **« وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه ، سيجزيهم بما كانوا يفترون »** (٧٩) ..

.. وقصرهم حل ما فى بطون البحار والسوائب ـ إن خرج حيا ـ على الذكور وحدهم دون نسائهم . فإن خرج ميتا فجميعهم شركاء فيه :

« وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام (من البحار والسوائب) **خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وان يكن ميتة فهم فيه شركاء ، سيجزيهم وصفهم ،** (أى قولهم هنا : بالحل والتحريم على النحو المبين) **انه حكيم عليم »** (٨٠) .

وقد عقب القرآن على صنع هؤلاء الكهان ، وقبول أتباعهم لصنيعهم بقوله : **« قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم** (وهذه جريمة كانوا يرتكبونها بناء على توصية الكهان لهم خشية الفقر .. أو سبى أولادهم فى الحرب فيما بينهم .. على نحو ما يشير إلى ذلك قوله تعالى فى هذه السورة : **« وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم** (أى ليحطموهم وينهوا وجودهم) **وليلبسوا عليهم دينهم »** (٨١) (وليخلطوا عليهم الأمر فى شئون توجيههم .) **وحرموا ما رزقهم الله**

---

(٧٨) المائدة : ١٠٣ (٧٩) الأنعام : ١٣٨

(٨٠) الأنعام : ١٣٩ (٨١) الأنعام : ١٣٧

(من الحرث والأنعام على النحو السابق) **افتراء على الله ، قد ضلوا وما كانوا مهتدين » (٨٢) ..**

.. ثم أوضح الحلال والحرام فيما يحصل من الثروة الزراعية . .أو يقتنى فى الثروة الحيوانية ، فقال فى شأن الثروة الزراعيـة : **« كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ، ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين » (٨٣) ..** فنصح فيه بثلاثة أمور :

الأمر الأول : برفع الحظر عن الاستمتاع بصنوف ما يزرع ويثمر منهـا **« كلوا من ثمره اذا أثمر » .**

الأمر الثانى : إخراج حق أصحاب الحاجة منه ، تحقيقا للمنفعة العامة للمـال : **« وآتوا حقه يوم حصاده » ..**

الأمر الثالث : عدم الإسراف فى الاستمتاع به ، كى تتحقق بالاعتدال فيه : فضلة تعود على أصحاب الحاجة .

الأصل اذن : هو الحل فى الاستمتاع بأصناف المزروعات .. والاعتدال فيما يؤكل ويستمتع به منها .

.. وقال فى شأن الثروة الحيوانية : **« قل آلذكرين حـرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه ارحام الأنثيين ، ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا ، فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ، ان الله لا يهدى القـوم الظالمين . قل لا أجد فى ما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به ، فمـن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم » (٨٤) ..** فيستنكر القرآن : أن يكون هنا محرم من الأنعام على طاعم يطعم منها ، إلا أن يكون ميتة .. أو دماً مسـفوحاً .. أو لحم خنزير .. أو لم يذكر عليه عند ذبحه اسـم الله . كما يرخص عند الضرورة : الأكل من هـذه الممنـوعات بقـدر الحاجة : **« فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم » .**

.. كما نقل (القرآن) الحل .. والحرمة من مجال الملكية الخاصـة فى الثروة القومية (وهى الثروة الزراعية ، والحيوانية) .. إلى مجال العلاقات

---

(٨٢) الأنعام : ١٤٠ (٨٣) الأنعام : ١٤١

(٨٤) الأنعام : ١٤٤ ، ١٤٥

الاجتماعية . لأن التدخل فى الملكية الخاصة يبدو فيه الانحراف فى التوجيه .. والرغبة فى تحصيل المنفعة الخاصة ، ممن بيده سلطة الحل والحرمة . أما التدخل فى تنظيم العلاقات بين الأفراد ، بما يحفظ عليها التماسك والبقاء فى قوة .. والصفاء فيها : فإنه يستهدف لا محالة : الإصلاح .. والمصلحة العامة التى تعود على كل فرد بالخير . فيقول بعد التعقيب على صنع الكهان ، وجهالة المجتمع المكى الوثنى : « **قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئاً ،** (لأن الشرك بالله هدر لكرامة الفرد .. ودعوة إلى قسمة المجتمع إلى مجموعات وطوائف) .

« **وبالوالدين احساناً ،** (لأن الإحسان إلى الوالدين تعبير من الأولاد عن معنى الإنسانية الذى يتملكهم الآن) ،

« **ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم ،** (لأن فى قتل النفوس الصغيرة البريئة : تخليا أولا عن المسئولية الإنسانية التى توضع على الآباء لصالح الأولاد .. ومظهراً ثانيا ينم عن البربرية التى تدفع إليه) .

« **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ،** (لأن ارتكاب الفواحش ــ وهى الجرائم الاجتماعية ، كجريمة انتهاك العرض .. وسرقة المال ــ من شأنه أن يثير الاضطراب ، ويزيد من الحقد فى العلاقات بين الأفراد . والاضطراب والحقد فى العلاقات الاجتماعية من أشد العوامل فتكا فى تقويض المجتمع) .

« **ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون** » (٨٥) (إذ فى قتل النفس التى لم يكن قتلها فى قصاص مثلا : اعتداء واضح على المجتمع نفسه ، يجب تجنبه بكل وسيلة ، إذا أريد لهذا المجتمع أن يبقى فى صفاء .. وفى تماسك) .

« **ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ أشده ،** (فالمحافظة على مال اليتيم ــ وهو الضعيف بنفسه ــ أمارة على رشد الإنسان فى إنسانيته ، عندما يتولى أمر هذا الضعيف) .

---

(٨٥) الانعام : ١٥١

« **وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها** ، (والعدل فى المعاملة حسب الطاقة البشرية : أساس فى عدم تفكك المجتمع .. وفى عدم حقد الأفراد بعضهم على بعض) .

« **واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى** ، (وتجنب الزور فى الشهادة .. واللغو فى الحديث .. والكذب والافتراء فى النقل والرواية : ليس دليلا فحسب على إنسانية الإنسان الشاهد ، والمتحدث ، والحاكى . وإنما هو وسيلة لرفع البغضاء فى علاقات الأفراد مع بعضهم) .

« **وبعهد الله أوفوا** » (٨٦) .. (وعهد الله هو كل عهد لا يستهدف إلا الخير والمصلحة العامة .. كل عهد لا ينطوى على الشر ، والإيذاء ، والانتقام من أحد لحساب أحد . والوفاء به هو أمارة من أمارات النضج فى المعاملات المتبادلة) .

.. فالقرآن إذ يبعد تدخل السلطة القائمة فى الأموال الخاصة لغير مصلحة عامة .. يطلب ـ فى أمر .. وفى نهى ـ تنظيم العلاقات بين الأفراد فى الأسرة ، وفى المجتمع ، للبقاء على تماسك هذه العلاقات فى قوتها وفى صفاتها .

فهو يطلب فى تنظيم الأسرة : الإحسان إلى الوالدين .. ورعاية الأولاد ، بتجنب قتلهم خشية الفقر .. أو السبى فى حرب .

ويطلب فى تنظيم علاقات المجتمع : عدم الاعتداء على الآخرين بالقتل أو بانتهاك العرض .. أو بسرقة الأموال .

.. كما يطلب صيانة مال الضعيف ، عند مباشرة الوصاية على ماله .. والعدل فى المعاملات المالية والتجارية .. والعدل فى القول والشهادة .. والوفاء بالعهد ، إذا استهدف العهد تحقيق مصلحة عامة ، وهو عهد الله .

.. ويطلب قبل هذا كله : عدم الشرك بالله . لأن فى الشرك بالله سقوطا بالإنسان إلى مستوى أدنى من الأصنام إذا عبد أصناما .. وأدنى من الإنسان ذاته ، إذا اتجه بالخضوع والعبادة لإنسان ما : رسول أو غير رسول .

---

(٨٦) الأنعام : ١٥٢

وإذا سقط الإنسان عن مستوى إنسانيته لا يستطيع أن يكون أسرة ، ولا أن يكون عضواً فى مجتمع إنسانى متماسك .

ولذا : تسمى سورة الأنعام . هذا التنظيم فى علاقات الأسرة ، والمجتمع معاً . بالصراط المستقيم : **« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »** (٨٧) ..

* * *

وبجانب هذا الهدف الرئيسى للسورة : ذكرت ما تعود القرآن أن يذكره فى السور المكية كلها ، أو بعضها ــ من :

ــ إعلان أن القرآن دعوته للهداية ..

ــ ومن تصورات الوثنيين الماديين لأسباب رفضهم لدعوة القرآن ..

ــ ومن توضيح قدرة الله على تغيير المجتمع : من وضع وثنى مادى .. إلى وضع إنسانى فى الدنيا ، مع الاستشهاد بتاريخ المجتمعات السابقة .

ــ ومن تطمين الرسول على نجاح دعوته ، رغم شدة المعارضة ، وقسوة المواجهة لدعوته ..

ــ ومن المسئولية الفردية فى الانحراف ، والتمادى فى المعارضة ، لكل منحرف ومصر على انحرافه ..

فالقرآن يعلن دعوته فى قول الله تعالى : **« وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها ، والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به ، وهم على صلاتهم يحافظون »** (٨٨) ..

وهى دعوة تنطوى على ثلاثة أهداف :

أولا : إن رسالة القرآن هى رسالة الإسلام فى كل كتاب سماوى .. هى رسالة الله للإنسان على الأرض وفى هذه الحياة الدنيا .

ثانياً : إنها تستهدف تصحيح الوضع البشرى فى شبه الجزيرة أولا ،

---

(٨٧) الأنعام : ١٥٣ (٨٨) الأنعام : ٩٢

وهو الوضع المادى فى مجتمعها ، كنقطة بداية لتصحيح المجتمع العالمى كله ونقله إلى وضع إنسانى سليم .

ثالثاً : تطمين الرسول عليه السلام : أن الذين سيؤمنون بالقرآن هم أولئكم الذين يؤمنون بالآخرة ، وبالبعث .. أى أولئكم الذين لم يقعوا تحت تأثير الاتجاه المادى فى سلوكهم ، وفى مواقفهم ، فيقفوا بالسلوك والمواقف : عند حد الدنيا وحدها ، وإنكار الآخرة . ومعنى ذلك .. أن المكيين ــ وهم وثنيون ماديون ــ ليسوا موضع أمل كبير للإيمان بالقرآن .

.. كما يعلنها فى قوله : **« قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً ، وما كان من المشركين »** (٨٩) ..

وفى الوقت الذى يعلن القرآن فيه دعوته هذه على النحو الذى تحددت به هنا .. يرفق إعلانها : بأنها بعيدة كل البعد عن الخداع .. أى بأنها موضوعية ومجردة عن كل شائبة لا تتصل بالواقع بصلة :

« قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك ، ان اتبع الا ما يوحى الى ، قل هل يستوى الأعمى والبصير ، افلا تتفكرون » (٩٠) ..

.. فهو عليه السلام ــ وهو صاحب الدعوة ــ لا يمتلك المال لتوزيعه على الأتباع .. وليس هو فى طبيعته فوق البشر ، حتى يدعو تميزه إلى إقبال الناس عليه .. وليس إلا إنسانا يتبع ما يوحى إليه من ربه : فى تبليغه .. وفى الاهتداء به كقدوة مثلى .

.. كما يقص ــ أى القرآن ــ بعض الأسباب التى يتصورها ويعبر عنها الماديون المكيون : لرفض القرآن . فيقول : **« وقالوا لولا انزل عليه ملك ،** (أى هلاّ كان معه ملك يدعم رسالته من عند الله . إذ أنهم كانوا يدعون أن الملائكة بنات الله وجعلوا بينها وبين الله نسبا : **« وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ، ولقد علمت الجنة انهم لمحضرن »** (٩١) ..) **ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر**

---

(٨٩) الأنعام : ١٦١
(٩٠) الأنعام : ٥٠
(٩١) الصافات : ١٥٨

ثم لا ينظرون » (٩٢) (أى ولكن نزول الملك هو إعلان على انتهاء الحياة الدنيوية . ومن ثم لا تكون لهم فرصة للإيمان والعمل به) .

ويقول أيضا : « **وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه** » (أى هلاّ نزلت عليه أمارة مادية تؤيد صدق رسالته ، كالتى نزلت على موسى ، أو عيسى من قبل) **قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون** » (٩٣) ..

.. ويقول كذلك ــ منكرين بشرية الرسول ــ :

« **وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ، قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس** » (٩٤) ..

.. وفى بداية السورة .. وفى نهايتها أيضا ، يوضح القرآن مدى قدرة الله على تغيير المجتمع . فيقول فى أول السورة : « **ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن** (أى مجتمع) **مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم** (فكانت لديهم مصادر عدة للقوة والسيادة) **وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم** (ومن هذه المصادر العديدة للقوة : كان الرخاء فى العيش ، ويسر الحصول على الرزق ، بسبب وفرة المياه لرى الزراعة .. وتربية الحيوان .. وشرب الإنسان) **فأهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرناً آخرين** » (٩٥) (أى جيلا ومجتمعا آخر على النقيض من سابقه فى السلوك وعبادة الله وحده) .

.. ويقول فى آخرها : « **وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فى ما آتاكم ، ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم** » (٩٦) ..

.. فبينما القرآن يريهم فى أول السورة : أن الاعتماد على القوة المادية لا تغنى المجتمع عن سقوطه ، إذا ظل زعماؤه يرتكبون الفحشاء والمنكر ، ويسلكون طريق العبث والفساد ، ويكذبون بالقيم الإنسانية العليا ، التى تمثلها رسالة الله . إذا به فى آخرها يذكرهم بأنهم خلفاء لأجيال سبقتهم ..

---

(٩٢) الأنعام : ٨
(٩٣) الأنعام : ٣٧
(٩٤) الأنعام : ٩١
(٩٥) الأنعام : ٦
(٩٦) الأنعام : ١٦٥

وأنهم الآن موضع اختبار : فى طاعتهم ، أو فى عصيانهم له ، فيما أعطى لهم من نعم ، وبالأخص نعمة المال والجاه .. وعليهم من أجل ذلك أن يعيدوا النظر فى موقفهم من القرآن والإيمان به .

.. وفى جانب تطمين الرسول عليه السلام يقول سبحانه :

« **ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله** ، (أى لقضائه ولإرادته التى تعبر عنها كلمات الله فيما يعد به رسله من النصر والتأييد) **ولقد جاءك من نبأ المرسلين** » (٩٧) .

.. ثم عدد القرآن من الرسل من ساقهم فى قوله : « **وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، ان ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحاق ويعقوب ، كلا هدينا ، ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته** (أى ذرية إبراهيم) **داوود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزى المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس ، كل من الصالحين . واسماعيل واليسع ويونس ولوطاً ، وكلا فضلنا على العالمين .** ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم ، **واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون . أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ، فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين . أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده ، قل لا اسألكم عليه** (أى على القرآن) **اجراً ، ان هو الا ذكرى للعالمين** » (٩٨)

.. وطلب منه الاقتداء بالسابقين من الأنبياء والرسل . وطالما هو عليه السلام لا يأخذ أجراً على دعوته .. فليس هناك ما يعوقه عن استمراره فيها ، رغم ما يواجهه من معارضة ورفض لها .

.. والمسئولية الفردية قد أعلنها فى قوله تعالى : « **ولا تكسب كل نفس الا عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى** » (٩٩) ..

* * *

وبالتفرقة بين الجو المكى للسورة ــ أية سورة ــ الذى تحدده العناصر السابقة ، وهو جو يتكرر بصورة أو بأخرى فى السور المكية ، ويعد طابعا

---

(٩٧) الانعام : ٣٤ (٩٨) الانعام : ٨٣ ــ ٩٠

(٩٩) الانعام : ١٦٤

لها بوجه عام ... وبالأمر الخاص الذى يبدو مميزاً فيه سورة عن سورة : يتضح الهدف المقصود من السورة .. مثل ذلك الهدف الذى سقناه هنا فى سورة الأنعام : وهو منع التدخل فى الأموال الخاصة من السلطة القائمة . فإنه كان من العرف الشائع فى المجتمع المكى ، ونظيره يحدث فى كل مجتمع مادى ، على نحو إلغاء الملكية الخاصة فى المجتمع الماركسى الاشتراكى. وهو مجتمع وثنى مادى .

فإن عرف هدف كل سورة .. وعرف مع ذلك الهدف العام لرسالة القرآن ، عن طريق التفسير الموضوعى للقرآن : كان من اليسير تخطيط حياة الإنسان على أسس موضوعية تكون الأصول العامة لسياسة الحكم فى الإسلام .. وللأخلاق فى السلوك .. وللموقف فى العلاقات الدولية .

وليس معنى استخلاص الهدف الرئيسى من كل سورة ، عن طريق التفسير الموضوعى ، هو أن لا تفسر الآيات تباعا ، وأن لا توضح الكلمات الغريبة فيها ، بل معناه : بجانب هذا النوع من التفسير الذى درج عليه المفسرون : يمكن استخلاص الهدف الموضوعى ، كما أشرنا . وبذلك لا يضيع القارىء بين أسطر التفسير المجزأ . وبالأخص ذلك الذى لم تتكون لديه الدربة على مراجعة الأسلوب التقليدى ، وما يصحبه من جولان ورحلات فى فروع الثقافة العربية المختلفة . ثم جانب آخر يتضح : إعجاز القرآن فى موضوعيته .. وفى ملاءمته للطبيعة الإنسانية .

* * *

● سورة الشعراء :

وعلى غرار سورة الأنعام : نعرض لسورة الشعراء أيضا ، كسورة مكية ، وبقراءة سورة الشعراء يبدو واضحا : أن الهدف من السورة . رفض القرآن لأمرين ادعاهما الوثنيون الماديون بمكة ، تأثراً بما هم يعيشون فيه من خرافة واعتقاد باطل :

اولا : يرفض كتاب الله أن يكون القرآن على نمط الكهانة : يدعى فيها استراق السمع من غيب السماء .. وأن الذى يباشر السمع هم مردة

الشياطين . فيقول تعالى : « **وما تنزلت به الشياطين .** (أى وليست لهم صلاحية إطلاقاً أن ينزلوا به) **وما ينبغى لهم وما يستطيعون .** (أى وفى الوقت التى تنتفى لديهم الصلاحية للنزول به .. هم لا يستطيعون كذلك أن ينزلوا به . فإذا فقدت الشياطين الصلاحية جملة .. وفقدت القدرة والطاقة على مباشرة إنزاله : فقد تأكد أنهم لم ينزلوا به) **انهم عن السمع لمعزولون** » (١٠٠) .. ويضاف إلى عدم صلاحيتهم .. وعدم قدرتهم : عزلهم عن سماع الغيب من السماء ، عزلا تاماً ومؤكداً . وبهذا : يصبح القرآن وحيا من عند الله ، أرسل به رسول إلى المصطفى المختار محمد بن عبد الله عليه السلام .. وليس نمطا من أنماط الكهانة التى يعيشون فى ظلها .

.. على أنه من جانب آخر . أن الشياطين ــ وهم أشرار الموجودات ــ لا تتصل إلا بالأفاكين الكذابين . ومحمد بن عبد الله عليه السلام : عرف بالصدق ، والأمانة بين العرب المكيين على وجه أخص : « **هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم . يلقون السمع** (أى هؤلاء الأفاكون يلقون ما بسمعهم إلى غيرهم من الشياطين المردة ، كى ينقلوا عنهم) **وأكثرهم كاذبون** » (١٠١) .. (ومع أنهم يلقون بالسمع إلى الأشرار .. فهم فى أغلبيتهم كاذبون .. أى إنهم إذا سمعوا من شياطينهم كذبا ــ منسوبا إلى غيب السماء ــ فإن أغلبهم أيضا لا يتورع أن يضيف إلى ما سمع من كذب : كذباً آخر من عند نفسه) .

وبتوضيح هذا الواقع ينجلى : أن طابع الكهانة بعيد كل البعد عن القرآن ، الذى هو وحى الله ، نزل به جبريل إلى محمد عليه السلام .. كما يتجلى كذب الخرافة ــ من ناحية أخرى ــ التى كانت شائعة بين أصحاب السلطة الدينية بين المكيين . وهى أن الكهانة نوع من غيب الله ، جاء به رجال من الجن ، كان يلوذ بهم نفر من الكهان . إذ أن الجن معزولون عزلا تاماً عن علم الغيب : « **انهم عن السمع لمعزولون** » .. « **فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته ، فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين** » (١٠٢) ..

---

(١٠٠) الشعراء : ٢١٠ ــ ٢١٢ (١٠١) الشعراء : ٢٢١ ــ ٢٢٣
(١٠٢) سبأ : ١٤

ثانياً : يرفض كتاب الله أيضا : أن يكون القرآن نمطا من أنماط الشعر .. أى يرفض أن يكون منطويا على كذب الشعراء وخداعهم ، فيقول :

« **والشعراء يتبعهم الغاوون** . (أى الضالون والحائرون . لأنهم يقولون فى الشىء : وصفا معينا ، ثم يتبعونه بوصف مضاد له . والحقيقة إذن ضائعة بين الضد .. وضده) **ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا** » (١٠٣) .. (من أمثال عبد الله بن رواحة .. وحسان ابن ثابت .. وكعب بن مالك .. وكعب بن زهير) .

.. وبإبعاد طابع الكهانة . وطابع الشعر عن القرآن : يصبح القرآن كتاب حقائق .. وكتاب صدق من عند الله .

.. وبالإضافة إلى الهدف المميز فى سورة الشعراء : تذكر السورة أيضا ــ كسورة مكية ــ ما تعودت السور المكية أن تذكره ، بجانب الهدف الرئيسى للسورة ، من :

.. إعلان القرآن دعوته للهداية . كما جاء فى قول الله تعالى هنا : « **وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين . وانه لفى زبر الأولين . أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل . ولو نزلناه على بعض الأعجمين . فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين** » (١٠٤) .. وكما جاء فى قوله : « **فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين . وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** » (١٠٥) ..

.. ومن توضيح قدرة الله على تغيير المجتمع .. مع الاستشهاد بأحداث التاريخ على هذا التغيير . فقد جاء فيها قول الله جل جلاله : « **كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين** . (أى على نحو عدم إيمان المجتمعات السابقة برسالة رسلهم : استقر فى قلوب المكيين ــ بسبب إجرامهم ــ أنهم لا يؤمنون بالقرآن رسالة محمد ، مهما كانت الآيات الدالة على وجوب الإيمان به) **لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم . فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون** .

---

(١٠٣) الشعراء : ٢٢٤ ــ ٢٢٧
(١٠٤) الشعراء : ١٩٢ ــ ١٩٩
(١٠٥) الشعراء : ٢١٣ ــ ٢١٥

فيقولوا هل نحن منظرون . افبعذابنا يستعجلون . أفرأيت ان متعناهم سنين . ثم جاءهم ما كانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون . وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون . ذكرى وما كنا ظالمين » (١٠٦) ..

وقد قصت السورة ـ مع تأكيد الله تغييره لمجتمع العابثين : « **وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون** » ـ من أحداث التاريخ : ما تستشهد به : على أن ما سيقع لزعماء المكيين الوثنيين المادين من تغيير ، قد وقع من قبل ، لمجتمعات عديدة ، عارضت رسلها بالباطل : قصت أنباء مجتمعات سبعة سبقت المجتمع المكى .. قصت :

مجتمع موسى : من الآية العاشرة .. إلى الآية الثامنة والستين .

ومجتمع إبراهيم من الآية التاسعة والستين .. إلى الآية الرابعة بعد المائة .

ومجتمع نوح : من الآية الخامسة بعد المائة .. إلى الآية الثانية والعشرين بعد المائة .

ومجتمع هود : من الآية الثالثة والعشرين بعد المائة .. إلى الآية الأربعين بعد المائة .

ومجتمع صالح : من الآية الحادية والأربعين بعد المائة .. إلى الآية التاسعة والخمسين بعد المائة .

ومجتمع لوط : من الآية الستين بعد المائة .. إلى الآية الخامسة والسبعين بعد المائة .

ومجتمع شعيب : من الآية السادسة والسبعين بعد المائة .. إلى الآية الحادية والتسعين بعد المائة .

.. ثم أردفت هذه المجتمعات بمجتمع الرسول عليه السلام : ابتداء من الآية الثانية والتسعين بعد المائة .

.. ومن تطمين الرسول عليه السلام . فذكرت قول الله تعالى :

---

(١٠٦) الشعراء : ٢٠٠ ـ ٢٠٩

« **لعلك باخع نفسك** (أى قاتل نفسك حزنا وأسفا) **الا يكونوا مؤمنين . ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية** (أى مادية ، كما يطلبون) **فظلت أعناقهم لها خاضعين .** (أى من شأنها : أنهم لا يستطيعون إزاءها إلا التسليم والإذعان) **وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين** » (١٠٧) .. (ولكنهم جبلوا على المعارضة والكفر بما يأتى به وحى الله . والأمر إذن ليس أمر إقناع بآية مادية أو بأخرى . وإنما الأمر أمر عناد .. وصلف .. ومصلحة خاصة فى المعارضة والتولى عن هداية الله) ..

.. وأخيراً من ذكر المسئولية الفردية عن الانحراف ، والتولى عن دين الله . فقد جاء فى هذه السورة قوله سبحانه : « **فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون . وتوكل على العزيز الرحيم** » (١٠٨) ..(أى فمسئولية عصيانهم لا تقع عليك أنت ـ أيها الرسول صلوات الله عليك ـ وإنما تقع عليهم وحدهم ، وهم المتحملون لها) .. وجاء قوله كذلك : « **وسيعلم الذين ظلموا** (أى بسبب رفضهم الإيمان) **اى منقلب ينقلبون** » (١٠٩) ..

* * *

وعلى هذا النحو من طريقة التفسير يستعين القارىء على استخلاص أهداف السورة المكية .. ثم الأخرى المدنية .. ويصل بذلك إلى الهدف العام للقرآن الكريم . وهو :

ـ مقاومة الوثنية المادية . وقد عرفت بمظاهرها .. وبعقيدتها ..

ـ وتصحيح تحريف أهل الكتاب ، فيما جاءت إليهم من رسالة ..

ـ وأسس قيام المجتمع الإسلامى .. وبقائه . فى عزة ورفعة .

.. ويصبح بالتالى من غير العسير على المؤمن القارىء لكتاب الله : أن يتعلم منه مباشرة طريق هدايته فى السلوك .. وفى المعاملة .. ويؤمن صدقا بأنه كتاب من **عند الله** .

* * *

---

(١٠٧) الشعراء : ٣ ـ ٥

(١٠٨) الشعراء : ٢١٦ ، ٢١٧

(١٠٩) الشعراء : ٢٢٧